Contemporary Studies in Social Sciences (CSSS)

Volume.1, Issue.2 pp: 110-119 Article 2
Dec (2023)

الفلسفة وأزمة التعليم والثقافة عند آرنت

Philosophy and the Crisis of Education and Culture at Arendt Thought

أسماء محمد حلمي عريف

Asmaa Mohamed Helmy Arief

مدرس بقسم الفلسفة كلية الأداب جامعة بنها- مصر

Lecturer at Philosophy Department, Faculty of Arts, Benha University, Egypt
asmaa.arief@gmail.com

Accepted قبول البحث	Revised مراجعة البحث	Received استلام البحث
2023/10/19	2023 /8/18	2023 /7/10

DOI: https://doi.org/10.31559/CSSS2023.1.2.2

This file is licensed under a *Creative Commons Attribution 4.0 International*

www.refaad.com

Contemporary Studies in Social Sciences (CSSS)
دراسات معاصرة في العلوم الاجتماعية

Journal Homepage: https://www.refaad.com/Journal/Index/20

E-ISSN 2959-7609 | P-ISSN 2959-7595

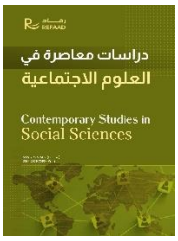

الفلسفة وأزمة التعليم والثقافة عند آرنت

Philosophy and the Crisis of Education and Culture at Arendt Thought

الملخص:

الأهداف: تهدف هذه الدراسة إلى البحث عن نقطة البداية التي تبدأ منها الأزمة في كل من: التعليم، والثقافة في المجتمع من خلال التحليل الفلسفي الذي قدمته حنة آرنت (1906-1975) Hannah Arendt، وفي ضوء تصوراتها يمكن فهم أصل الأزمة كخطوة ما قبل العلاج، وطرح التفكير كحل أساسي لهذه الأزمات، فالتفكير في الأزمة بمثابة التمهيد الجوهري لمجتمع جديد. إن المجتمع يعتمد في تطوره وازدهاره أساسًا على التعليم والثقافة، ونظرًا لأن طبيعة الإنسان قابلة للتطور فإن عملية التعليم تعد حقًا مدنيًا يجب إتاحته للفرد بقدر ما يسعى المجتمع نحو النمو، وتهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن مناحي التقصير في هذين المجالين لتجاوز الأزمة.

المنهجية: تعتمد هذه الدراسة على عدة مناهج: المنهج التحليلي لمناقشة ماهية المفاهيم التي تدور حولها الأزمة، مع الالتزام بالمنهج التاريخي لإيضاح تطور المصطلحات باعتبارها أحد المعايير التي حددتها آرنت كأصل للأزمة، فضلًا عن المنهج النقدي في تحديد أسباب الأزمة، والسبل المختلفة لعلاجها.

الخلاصة: بينت هذه الدراسة وجود علاقة وثيقة بين سوء الفهم للمحتوى الأساسي لكلٍ من التعليم والثقافة، وإفراغهما من أهدافهم.

الكلمات المفتاحية: آرنت؛ التعليم؛ المعلم؛ الثقافة؛ ازدراء الثقافة؛ جموع الجماهير.

Abstract:

Objectives: This study aims to detect the starting point of the crises that happened in Education and Culture by the philosophical analysis which Hannah Arendt (1906 – 1975) had discussed. In Arendt's account, we can understand the genesis of the crisis as a pre-strategy to fix it. In fact, thinking is the fundamental solution to these crises and to renew our common world. Prosperity in society is related genuinely to education and culture. Regarding human capability for development, education is considered an inalienable civic right which is imposed on society insofar as seeking growth. This study seeks to discover failure in these two spheres.

Methods: This study relies on three methodologies; the analytical method used for discussing Arendts' terms, the historical method to explain the development of each term, and the critic method to determine the reasons behind these crises.

Conclusions: The results illustrated there is a serious relation between misunderstanding the concepts of education and learning and the emptiness of their aims.

Keywords: *Arendt; Education; Educators; Culture; Mass Society.*

المقدمة:

تتأسس المجتمعات بشكل أساسي من جموع الجماهير كبنية أساسية للشكل الهيكلي للمجتمع، هذه البنية لا تتشكل من تيار فردي على الإطلاق، بل إنها تعبر عن الجموع، وبالتالي فإن الفرد بتكوينه النفسي هو حجر الأساس لأي مجتمع. وبشكلٍ مساوٍ تقع أهمية التعليم والثقافة في تكوين الأفراد، بيد أن ما يعنينا من وراء البحث في هذا التكوين هو تتبع أصل نشأة الأزمة المعاصرة في ميدان التعليم والثقافة. وستركز هذه الورقة على إبراز هذا الأصل.

أوضحت آرنت أن التعليم هو الأساس التمهيدي للمجال السياسي- بمعنى أن نجاح الممارسة السياسية في المجتمع مرهون بالتمهيد له عن طريق التعليم-، وهو المجال نفسه الذي وقع في أزمة وتجاهُل من قبل السلطة. ولعل الأكاديميين هم الأكثر دراية بأزمة هذا المجال. وبعد استخدام السلطة في التعليم من المحكات التي يجب وضعها في عين الاعتبار بصدد هذه الأزمة، فالمعلم يجب أن يشعر بمسئولية تجاه تلاميذه. هذه المسئولية -بحسب آرنت- أشبه ما تكون بالمسؤولية التي تقع على عاتق العائل في تربية النشء، بدءًا من لحظة ميلاده، مرورًا بعملية التعليم الدراسي والتوجه الثقافي الذي يتعرض له خلال نموه. إن التعليم والثقافة هما المحكات الاجتماعية الأساسية في المجتمع والعاملان المساعدان في نجاح المفهوم السياسي للسلطة أو فساده في أي مجتمع، نظرًا لأن البنية الأساسية لأي مجتمع هي جيل الصغار، وما يساعد في نمو هذا الجيل هو في المقام الأول الفهم الصحيح لأثر البعد الاجتماعي في السياسة. وبطريقة غير مباشرة يبدأ التأسيس لمفهوم السياسة للطفل من أول خطوة يخطوها، مرورًا بما يتلقاه في مجالي التعليم، والثقافة. لذلك كان لزامًا على كل شخص منوط برعاية الأطفال فهم هذا الأثر. وقد أوضحت آرنت في كتابها: "بين الماضي والحاضر" أن التعليم والسياسة يعملان بتلاحم معًا في المجال العام للنشاط الاجتماعي. وأكدت على أن أزمة التعليم المعاصرة تعد أزمة سياسية في المقام الأول. حيث إن النشء يثار لديهم التأسيس لمفهوم السلطة عن طريق ولي الأمر في المنزل، والمعلم في المدرسة ولذلك فإن البعد السلبي لسوء الفهم هذا ينشأ في الصغر ويمارس على نطاق واسع مع بداية تعبير الطفل عن نفسه في المراحل التي تلي الطفولة.

وبالنظر في المجتمع نجد أن التوجه الثقافي يقوم أساسًا على بعض المعايير، فالثقافة تزدهر بازدهار الفن والأدب، وتثير أفكار آرنت بعض التساؤلات التي تهدف هذه الدراسة إلى محاولة الإجابة عنها، حيث تنقسم الدراسة إلى قسمين يتناولان أصل الأزمة في "التعليم" و"الثقافة"؛ يتناول القسم الأول التعليم وأهميته كداعم للنمو المجتمعي من جهة وكاحتياج أساسي للتنشئة من جهة أخرى، والفئة المستهدفة في التعلم. وتسلط هذه الدراسة الضوء على الدور الذي يقوم به كل مجال من المجالين المنوطين برعاية وتعليم النشء، ويناقش القسم الثاني ماهية الثقافة، وأهميتها بالنسبة للمجتمع، وأسباب أزمة الثقافة.

مشكلة الدراسة:

آرنت حددت آرنت أسباب التشويش الأخلاقي والسياسي الذي حدث في المجتمع المعاصر في حدوث أزمة في مجالي التعليم والثقافة، وبالتالي فإن تحليل هذه الأزمة يعد خطوة تمهيدية لوقف تكرارها. وتتناول هذه الدراسة تحليل صور هذا التشويش بالإضافة إلى البحث في تاريخ وأسباب نشأة الأزمة.

أسئلة الدراسة:

- ما هي ماهية التعليم عند آرنت؟
- ما الفرق بين دور كل من المعلم والأب في نشأة الطفل؟
- ما المعنى الاصطلاحي والفلسفي لكلمة ثقافة؟
- كيف يمكن التفريق بين الثقافة الحقيقة والثقافة المزيفة؟
- ما أهمية الثقافة بالنسبة للمجتمع؟
- كيف تؤثر أزمة الثقافة في انحطاط الفن ووسائل الترفيه؟

أهمية الدراسة:

تكتسب الدراسة أهميتها من مجموعة من النقاط، يمكن إيجازها فيما يلي:

- تحديد أهمية كلًا من التعليم والثقافة بالنسبة لنمو المجتمع.
- التأصيل التاريخي لمفهوم الثقافة.
- تبيان أهمية دور الأب، والأم، والمعلم.

الدراسات السابقة:

- Julien Kloeg. (2022) Where is education? Arendt's educational philosophy in between private and public.
- Zakin, E. (2017). Between Two Betweens: Hannah Arendt and the Politics of Education.

منهج الدراسة:

تعتمد هذه الدراسة على عدة مناهج: المنهج التحليلي لمناقشة ماهية المفاهيم التي تدور حولها الأزمة، مع الالتزام بالمنهج التاريخي لإيضاح تطور المصطلحات باعتبارها أحد المعايير التي حددتها آرنت كأصل للأزمة، فضلًا عن المنهج النقدي في تحديد أسباب الأزمة.

ماهية التعليم وأهميته عند آرنت:

تعد عملية التعليم المنبع الحيوي للنمو، ففي كل حضارة من الحضارات كان التعليم حجر الأساس الذي ساهم في تطوير النشء. إن الطفل يولد ولديه رغبة شرهة في المعرفة، لذلك فإن سؤاله المتكرر دائمًا هو لماذا؟ ومن هنا يمكننا القول إن التعليم ليس حكرًا على المدارس والجامعات فقط، بل إن لطبيعة التعليم من القوة بحيث تغرس في الطفل الدافع الذي يثير لديه الدهشة والملاحظة، فيبدأ بملاحظة الموجودات الأخرى، بل ويستخلص من ذلك بعض العلاقات مثل تركيب الأسرة، ومهام الأب والأم. والتفكير هو المعيار الذي نستدل به على نجاح التعليم؛ فالتعليم يوجه الأذهان إلى الإلمام بأساليب التفكير المختلفة، وعن طريق التفلسف والسؤال يجني التفكير ثمرة نجاح التعليم. فقد أشارت آرنت إلى أن الجهل هو المعنى الحقيقي للعزلة والوحدة. (Arendt, 1978). والتعليم يقدم شرحًا للمعاني المراوغة التي تستعصي على تحديد مفاهيمها.

إن مفهوم الشر متجذر بعمق في فلسفة آرنت الأخلاقية والسياسية . (Paul Farmosa, 2008) فقد ناقشت الشر كطبيعة بشرية فطرية يجب على المرء ترويضها في المجتمع لتحقيق الازدهار في الإنسانية. وبالتالي يقع في مهمة التعليم نشر الوعي الذي يدعم الفرق بين الخير والشر، مع التأكيد على دور الإنسان في ترويض وتقنين دافع الشر بداخله. وقد اقترحت آرنت طريقة تحسين الإنسانية على الطريقة السقراطية عن طريق طرح التساؤلات وفتح باب التفكير للأذهان على مصراعيه.

ومن هنا فإن النمو الاجتماعي الذي يسعى وراءه العالم أجمع يفترض وجود عقول قادرة على التفكير؛ ومعنى ذلك أن التعليم حاجة أساسية لهذا النمو، وعليه فإن توفير التعليم أشبه ما يكون بتوفير الغذاء. وأشارت آرنت إلى ذلك حيث اعتبرت عملية التعليم هي واحدة من الحقوق المدنية الثابتة التي لا يمكن تخيل استبعادها. (Paul Farmosa, 2008).

وأشادت آرنت بأهمية التعليم لأنها عملية مثمرة لا تنضب والعقل الإنساني لديه قدرات استيعاب لا يمكن تخيلها، ويمكننا هنا أن نلمس أثر كان في آرنت حيث قال: "الإنسان هو المخلوق الوحيد القابل للتعلم".(Kant, 1803) وقابلية التعلم هذه هي التي فرضت إلزام الدول بتعليم الشعوب. والتعليم مقترن بالقدرات الأساسية للعقل التي حددها كانط والتي لا يمكن فصل إحداها عن الأخرى: "التفكير، والإرادة، والحكم"(Arendt, 1978) هذه القدرات تختلف حدتها من شخص إلى آخر، وهي المحكات الأساسية التي تتطور عن طريق التعليم.

ويعتمد التعليم -وفقًا لآرنت- على عاملين أساسيين، وعن طريق هذين العاملين تكون العملية التعليمية مثمرة أو متدهورة:

- رغبة النشء في التعلم.
- جودة المعلم.

فبالرغم من وجود القدرات الأساسية نفسها لكل عقل -حتى ولو بشكل متفاوت - إلا أن ما يتحكم بشكل مباشر في عملية التعليم ليس التفكير ولا الحكم، بل الإرادة. (Arendt, 1978). فالحكم كقدرة موجودة بالفعل في العقل، لا تعمل من تلقاء نفسها، بل يعوزها الخبرة، هذه الخبرة لا يستخلصها العقل إلا عن طريق التعليم، والتفكير بالمثل، أما الإرداة فهي نقطة الانطلاق لشتى القدرات. وبشكل مماثل تتحكم جودة المعلم في التعليم. فهي مهمة تتكون من مجهودٍ مشترك، وقد أكدت آرنت أن السبب وراء أزمة التعليم في العصر الحديث هو فقدان التعليم محتواه، فالتعليم دون تعلّم هو عملية فارغة تمامًا ، وبالتالي يتدهور التعليم ويستحيل إلى خطاب عاطفي. (Arendt, 1977) وهذا الفراغ في العملية التعليمية يرتبط بجوانب أساسية:

- انعدام الأمل في إيجاد نقطة إتصال بين عالم البالغين، وعالم النشء.
- الافتراض جدلًا إمكانية استخدام المعلمين لسلطاتهم في إجبار الطلاب على التعلم بالطريقة نفسها التي تلقاها المعلمون سابقًا، بالرغم من التطور اللاحق بشتى المناهج ووسائل التكنولوجيا.
- استبدال التطبيق بالتعلم النظري: التعليم يرغم النشء على أن يزهد في رغباته الفطرية في اللعب، وبعد تطور العلوم الحديثة تم اكتشاف أن هذا التطبيق العملي نوع من أنواع التأكيد على نمو النشء.

فسوء استخدام سلطة المعلم هنا بالتحديد تعد من ضمن العوائق التي تقف بين التعليم والإبداع، بل وتشارك في قولبة العقول وتجريدها من محفزات الابتكار أو النظر من منظور مختلف. بيد أن السلطة بالمعنى الأوسع مقبولة كضرورة طبيعية؛ حيث إنها مطلب طبيعي من حيث حاجة النشء إلى مربٍ، وتعد مقبولة أيضًا في الجانب السياسي لأنها ضرورة لاستمرارية التأسيس الحضاري. (Arendt, 1977)أما في التعليم، فتعد السلطة غير مقبولة إذا كانت تتحكم في معيار الإبداع لدى النشء.

وقد أشارت آرنت إلى أن بداية الأزمة في التعليم هي سوء الفهم لمفهوم السلطة، والذي بدوره يتضمن أثرًا بالغًا في الأزمات المجتمعية سواء في التعليم أم الثقافة والتي تنعكس على النشاط السياسي(Arendt, 1977).

إن عملية تعليم النشء تبعًا ل آرنت تنقسم إلى مجالين:

- المجال الخاص، الذي يتمثل في دور الأمومة والأبوة.
- المجال العام، "المعلمين"،الذي يعمل على استيفاء دور المجال الخاص في التعليم، وتقديم العالم الخارجي للنشء[1].

تشير آرنت إلى أن هذين المجالين يقع عليهما المسؤولية الكاملة في تطوير النشء، وفيهما بالتحديد تقع الأزمة الأساسية؛ على اعتبار أن لديهما من السلطة ما يتحكم في عملية النمو العقلي للنشء نفسه. فالسلطة إذن تتضمن المسؤولية بقدر ما تفترض حقوقها، ومع ذلك يمكننا أن نجد من بين أولياء الأمور البالغين من يرفض الاعتقاد بفرض المسؤولية عليه في تأدية دوره كأب أو كأم. وهنا تحسم آرنت هذا الأمر بقولها: "من يرفض نصيبه من المسؤولية، يجب ألا يتمتع بالسلطة، وبعبارة أخرى يجب ألا ينجب أطفالًا، وألا يكون له دور في المشاركة في تعليمهم"(Arendt, 1977). والحق إنه إذا كان التنصل من مسؤولية النشء سمة في العائل، فإن العزوف عن الإنجاب أفضل حل مثلما أشارت آرنت.[2]

المجال الخاص: دورالأمومة والأبوة:

يعد المجال الخاص بحسب آرنت هو الحماية، فالطفل منذ ولادته يكون في أمس الحاجة للحماية من العالم المحيط. وفي ضوء حاجته هذه يكون مصدر الأمان بالنسبة للطفل هو الأب والأم -أينما كانا- حيث ينتقلان يوميًا من العالم الخارجي إلى حيز الخصوصية الخاص بهما المكون من أربعة حوائط (Arendt, 1977). ما يتطلب منهما الشجاعة لترك منطقة حمايتهم من أجل العمل اليومي. فإذا كانت هذه الحوائط تعني للطفل الحماية من العالم الخارجي، فهي تمثل أيضًا الملجأ للوالدين مما يشغلهما بالخارج بصدد كسب العيش. ويعد العالم الخارجي أو ميدان العمل بمثابة التحديات التي يواجهها أولياء الأمر، فتحمل عناء الضغط الاقتصادي في بعض الأحيان يعرقل دور المجال الخاص في نمو النشء، حيث يصبح هذا المجال ملاذًا للهروب من الضغوط الخارجية أكثر من ممارسة الأمومة والأبوة. وقد تدارك المجتمع المعاصر ذلك عندما عمل على إنشاء دور الرعاية الخاصة "الحضانات" لتقديم خدمات للأم والأب العاملين.

وتؤكد آرنت على أن جيل النشء هو جوهر التعليم (Arendt, 1977). إن مهمة إصلاح عالمنا التي تمثل عبئًا على جيل المستقبل من الناشئين تبدأ بالتحديد من أولياء الأمور اليوم، حيث تربط آرنت بين عنصرين أساسيين لازمين في تقديم صورة العالم إلى النشء هما: "الوالدان" من ناحية، و"المعلمون" من ناحية أخرى. أي أن هذين الوجهين يعملان على إعداد النشء مقدمًا من أجل القيام بهذه المهمةلاحقًا (Arendt, 1977). وذلك بالتحديد ما يؤكد عليه جيمس دوبسون[3]حيث قال: " من يتحكمون فيما يُدرس للنشء، وما يتلقونه ويفكرون فيه ويعتقدون في صحته، هم الذين يتحكمون في مستقبل الأمم" (James Dobson, 2006).

وفي تقديري أن آرنت قد اختارت اسم "المجال الخاص" تعبيرًا عن الأسرة تأكيدًا على المهمة الأساسية لمفهوم "الخصوصية" في حماية النشء، بالرغم من أنها ربما لم تكن تتصور كيف يمكن اختراق خصوصية هذا المجال الخاص في الحقبة المعاصرة عن طريق وسائل التواصل الاجتماعي.

ومما لا شك فيه أن الخصوصية تؤثر في حياة النشء كما أكدت آرنت من حيث إنها تعزز نموه، بل إنها ترفع من أهمية هذه الخصوصية حتى إنها ترى أن تلاشي الخصوصية يبدد وظيفة الدور الأساسي للأسرة في نمو النشء. ومن هنا ناقشت آرنت أن تراجع دور الأسرة يرتبط بشكل وثيق باضطراب مفهوم السلطة في المجتمع. وليس المراد بالسلطة هنا الحكومة، بل بممارسة دور السيادة الذي يحمل في طياته المسئولية سواء كانت هذه السيادة تُمارس في العمل، أم في المعاهد والكليات، أم في الطرق، أم في المجتمع ككل. وقد أكدت آرنت أن نقطة الالتقاء بين المجالين الخاص والعام هي: جيل الناشئين.

يعد النشء بحسب آرنت طورًا من أطوار الشخص البالغ، ولكنه في مازال في مرحلة التكوين، والخصوصية هنا تشبه تأثير الفراشة أو نظرية الفوضى[4]- بصرف النظر عن المعنى اللفظي لكلمة الفوضى هنا، ففي النظرية ما يتضح منه اتساق تفسير آرنت لدور الخصوصية- فقد قالت بكل صرامة "كلما تفاقم انعدام الثقة في السلطة في المجال العام، تعاظم احتمال انتهاك المجال الخاص والعكس صحيح (Arendt, 1977).

أرادت آرنت بهذا الاتصال بين المجالين الخاص والعام أن تلقي الضوء على الدور الذي تؤديه السلطة في التعليم في كل المجتمعات؛ من حيث انطوائها على سلطة إلزام النشء. كان ل آرنت قناعة بأن المجال الخاص هو الصورة المصغرة من المجتمع السياسي، فتتأثر الأجيال الجديدة بمفهوم السلطة، وفي

---

[1] أطلقت أرْنت (النشء) أو "The New" على الأطفال نسبة إلى اليونانيين كما أطلقوا عليهم اسم "το νέο". Cp. Arendt, H. Between Past and Future, p 171.

[2] كان حديث أرْنت موجهًا في الأساس إلى المجتمعات الغربية بيد أننا نجد هذه الظاهرة - ظاهرة تنصل الأب أو الأم من مسئولياتهم تجاه النشء- في المجتمعات الشرقية الأشد فقراً، حيث إن الكساد الاقتصادي يؤدي بدوره في العصر المعاصر إلى انهيار اجتماعي وتراجع في قبول تحمل المسئوليات. ولذلك يجب على المؤسسات الإعلامية توجيه الإرشادات المناسبة لتوعية الشباب حتى تعمل مع التعليم في تأسيس جيل يدرك تأدية دوره في المسئولية قبل البحث عن الحقوق.

[3] جيمس دوبسون (James Dobson): عالم نفس أمريكي ولد عام 1936م وقد عرف عنه أنه من أكثر الشخصيات المؤثرة اجتماعيا، أهم موضوعات تطرق إليها بالبحث هي: "قيمة الأسرة"، "الأطفال"، "النوع الاجتماعي". فقد كانت كتبه محاولة من جانبه في حماية الأطفال من الحرب الاجتماعية التي نخوضها بعد تشريع المثلية. https://en.wikipedia.org/wiki/James_Dobson https://www.drjamesdobson.org/

[4] نظرية الفوضى Chaos Theory: واحدة من النظريات الرياضية الفيزيائية تحاول أن تفسر ما وراء السلوك العشوائي في الكون الذي يتحكم فيه القوانين الحتمية، أو بمعنى أدق "الفوضى الحتمية" كما هو الحال في مسار الجزيء في الغاز. ففي التحليل التقليدي تعد العشوائية ناشئة عن الجهل بالأسباب وراء الظاهرة نفسها. في العقود الأخيرة تم دراسة مجموعة من الأنظمة التي تسير بشكل غير متوقع، كان العامل المشترك الدرجة العالية من حساسية الظروف التي تتم فيها الظاهرة. على سبيل المثال، اكتشف عالم الأرصاد الجوية "إدوارد لورينز" أن نموذجًا بسيطًا للحمل الحراري يمتلك قدرة جوهرية على التنبؤ، وهو ظرف أسماه "تأثير الفراشة"، مما يشير إلى أن مجرد رفرفة جناح الفراشة يمكن أن يغير الطقس. ومن الأمثلة المنزلية على ذلك آلة الكرة والدبابيس: تحكم حركات الكرة بدقة قوانين تدحرج الجاذبية والاصطدامات المرنة - وكلاهما مفهوم تمامًا - ومع ذلك فإن النتيجة النهائية لا يمكن التنبؤ بها. Cp. https://www.britannica.com/science/chaos-theory

أفق هذا الأثر تختزل مبادئ وحدود الحرية. وبعبارة أخرى المجال الخاص بحسب آرنت هو جذور التعلم للنشء، وكلما زاد مستوى حماية الخصوصية فيه، زادت قوة الجذر، وصلابته، وتمكن من النمو بقوة إلى أن يخرج للضوء ثمرة هذا النمو في المجال العام.

المجال العام: دور المعلمين

تقول آرنت إن التعليم يخلق حالة ما تسميها "الانضباط" في العالم (Arendt, 1977). وذلك لأنها ليست بالمهمة اليسيرة بالنسبة للمعلمين أن يقوموا بتقديم العالم "كما هو" للنشء، وليس ذاك العالم الذي كنا نطمح في أن يكون (Arendt, 1977).

ولأن التدريس يعد بداية مستمرة لا تنتهي، فإن مكانة المعلم تكتسب قوتها تبعًا لجدارته ومؤهلاته، بحيث يستطيع المعلم أن يقدم المادة التعليمية بطريقة مبسطة وواضحة لا تخلو من إتقان (Levinson, 2001)، إن سلطة المعلم هي التي تكشف عن مؤهلاته وكفاءته الأكاديمية في ضوء استجابة النشء.

تكمن أزمة التعليم في هذا المجال بالتحديد في أن من يأخذ على عاتقه مسؤولية التعليم يجب أن يكون مؤهلًا بالقدر الكافي للعملية التعليمية، من حيث إن النشء تتوفر لديه النظرة الثاقبة بحثًا عن القدوة، وعن المعلم الجدير بالاستجابة إليه. أما ما يقضي على سلطة المعلم فهو انحسار ما يتركه من أثر. وبعبارة أخرى يكون العلم كفؤًا حينما يقوم بدوره في إمداد النشء بالمنظور اللازم لرؤية العالم رؤية واضحة، وبالرغم من أن سلطة المعلم هنا هي المقياس، إلا أن آرنت تؤكد أن أعلى الدرجات العلمية لا يمكنها منح صاحبها هذه السلطة إذا لم يكن قدوة للنشء (Arendt, 1977). إن ما تسعى إليه آرنت هو إعلاء مكانة المعلم وما لديه من مؤهلات كمطلب تربوي لا غنى عنه للتطور.

وترى آرنت أن استخدام المعلمين سلطتهم في منع النشء من حرية اختيار المراجع، وإكراههم على كتب معينة قد يسهم بشكل أو بآخر في وأد قدرتهم على الإبداع. فضلًا عن أن المعلمين يركزون اهتمامهم على منهج دراسي معين، بغض النظر عن تدريب النشء على تطبيق هذه المعلومات. ما يؤدي بدوره إلى أن يصاب المعلم نفسه بحالة من الركود الذهني والرتابة بدلًا من التعلم المستمر، وقد أطلقت آرنت على هذه المرحلة نقل معلومات منتهية الصلاحية[5] (Arendt, 1977).

رأت آرنت أن في الحضارة السابقة نموذجًا مثاليًا يمكننا دراسته كمرشد لمعرفة واستخلاص ما ينبغي أن يكون، ومع ذلك انتقدت تيار المحافظين السائد في التعليم الذي يعتقد في إعادة ازدهار الماضي(Mordechai, 1999). وذلك لأنها تؤمن أن أزمة التعليم في العالم الحديث، لا تمكننا العودة إلى الماضي، ولا نستطيع السير على خطى الماضي، فهذا من شأنه وضعنا في الموضع نفسه الذي انبثقت منه الأزمة (Arendt, 1977).

وشجعت آرنت تعليم النشء التفكير ليس فقط في تناول الماضي، بل أيضًا كقوة مضادة لمواجهة ما ينطوي عليه الماضي من أخطاء. حيث قالت: "إن التفكير العميق يشبه الغواص الباحث عن اللؤلؤ في أعماق البحار، هذا النوع من التفكير يتعمق في الماضي لإحيائه والإسهام في تجديد عالمنا". وهي بذلك تؤكد أن طريقة التفكير هذه مثمرة للحد الذي يجعلها باقية (Arendt, 1968).

وقد جعلت آرنت للتفكير مكانة تفوق مكانة العمل، فعلى الرغم من أن عملية التفكير قد لا نلمس إنتاجها العيني مثل العمل، إلا أن آرنت تعتقد أن فيها من الأثر ما لا يمكن تجسيده في العالم المادي(Arendt, 1998).

وهنا تعلق آرنت فتقول إن أعظم إسهام فلسفي منذ سقراط هو ما أسماه كانط بـ"إتساع التفكير"[6]، حيث أثرى فرضية الاتساق الداخلي لسقراط باتساع التفكير عن طريق وضع الذات محل الآخر(Paulina Sosnowska, 2019). فالتفكير هو الطريق الأمثل لمنع تكرار ما سببه من القرن الماضي من دمار لا يحصى.

الثقافة:

يتبادر للأذهان بالحديث عن الثقافة: المعارض الفنية، والصالونات الثقافية، والمسرح، والأدب بكل أشكاله سواء رواية، أو شعر، أو حتى نقد. فما هو الإطار الحقيقي الذي تتجسد فيه الثقافة؟ هل ما يتبادر للأذهان صحيح؟ إن الثقافة كما أشارت آرنت هي الظاهرة التي تصاحب مجتمع المفكرين وعلاقتها بالمجتمع الجماهيري؛ لأنها بمثابة النشاط الإنساني الذي يكمن فيه التعبير عن الذات، ويحمل في طياته تاريخ كل المحاولات البارزة بشأن هذا التعبير. ويشارك في النشاط الثقافي من يقوم بالتعبير عن ذاته ومن يتلقى ويتذوق الأثر الثقافي، وأشارت آرنت إلى ذلك حيث قالت: "إن مبدع الفن ومتذوقه يقومان بنشاط ثقافي، فالتذوق نشاط لا يقل أهمية عن إبداع المادة الثقافية نفسها" (Arendt, 1977).

- **الأصل الاصطلاحي لـ"ثقافة"**

يعد مصطلح الثقافة ذا أصل روماني، واللفظ مشتق من كلمة "Colere" اللاتينية بمعنى "to cultivate " أي أن تزرع، أو "to dwell" أي أن تسكن، أو "to take care" أي أن ترعى، أو "to perserve" أي أن تلاحظ، والمعنى مستمد بشكل أساسي من علاقة الإنسان بالطبيعة حيث يقوم الإنسان بزراعة البيئة ورعايتها ليسكن بها وتلائم احتياجاته. وبعبارة أخرى يقوم الإنسان بهذه الجهود المثمرة ليستطيع الهيمنة على الطبيعة (Arendt, 1977).

[5] Dead Knowledge. Cp. Arendt, H. Between Past and Future, p 177.

[6] Enlarged mentality. Cp. Arendt, H. Between Past and Future, p 228.

وربما كان شيشرون Cicero [7] هو أول من استخدم هذا اللفظ للتعبير عن الروح ، وغرس الأفكار بالعقل. ويعد هذا المعنى الاصطلاحي هو نفس ما نعبر عنه بكلمة ثقافة الآن على الرغم من أننا اليوم لا نعي مضمون أصل هذا التشبيهى (Arendt, 1977).

وفي اعتقادي أن هذا المعنى القديم للثقافة - القائل بأنها هي تطوير الطبيعة ورعايتها للسكن بها، والحفاظ على المعالم الأثرية - لا يخرج عما نعنيه بكلمة ثقافة الآن، وبرغم رتابة اللفظ إلا أنه مازال في إمكانه أن يستوعب الكثير من الدلالات. فالمفكر الذي يضيف بفكره للثقافة هو في بداية الأمر يريد التعبير عن أفكاره والسيطرة عليها مثلما يشير المعنى اللاتيني برغبة المزارع في الهيمنة على الطبيعة.

وقد كان الاستخدام الرئيسي للمصطلح عند الرومان للدلالة على العلاقة بين الطبيعة والثقافة، فالثقافة حينذاك كانت تعني الفلاحة، وكان الرومان يعلون من شأن الفلاحة على عكس فنون الصناعة والشعر. أما شيشرون، فهو أول من استخدم اللفظ وهو يتحدث عن "فلاحة العقل" وهو المعنى الذي نتداوله في يومنا هذا "العقل المثقف"(Arendt, 1977).

إن الفن الروماني العريق أو حتى الشعر لم يظهرا إلى حيز الوجود لولا أثر التراث اليوناني، واستطاع الرومان الحفاظ على هذا التراث وعنايته. والسبب وراء عدم وجود مفهوم يوناني يقابل مفهوم "الثقافة" الروماني هو: هيمنة فنون الصناعة على الحضارة اليونانية. فقد اعتبر الرومان الفن نوعًا من أنواع الزراعة كزراعة الطبيعة، أما اليونان، فاتخذوا عملية الزراعة كجزء لا يتجزأ من مهارة الصناعة التي بها يتحكم الإنسان في الطبيعة ويروضها، وبالتالي فإن عملية كعملية حرث الأرض التي اعتبرها الرومان عملية طبيعية سلمية، فهمها اليونان على أنها جرأة واعتداء على الأرض وثرواتها التي لا تنضب بمرور الأعوام. ومن هنا فإن اليونان لم يعرفوا مفهوم الثقافة لأنهم لم يعدوا زراعة الطبيعة فنًا يؤتي ثماره بل عنفًا وانتزاعًا لثروات الطبيعة (Arendt, 1977)- التي أخفتها الآلهة في رحم الأرض- وفي اعتقادي أن بزوغ المعنى المراد به لفظ ثقافة عن الرومان سببه الأساسي هو هذا الفرق.

توضح آرنت أن لفظ ثقافة يطلق على "الاهتمام بالأشياء الجميلة" وأن هذا الاهتمام نشاط لا يقل أهمية عن صنعها، من نفس المنطلق الذي جعل من محبة الحكمة "تفلسف"(Arendt, 1977).

- **بين المثقف ومدّعي الثقافة**

ازدراء الثقافة Philistinism:

يختلف المفهوم الأصلي للمصطلح اختلافًا طفيفًا عن استخدامه الحالي، فقديمًا ظهر هذا اللفظ في العامية الألمانية وكان يستخدم للتعبير عن الفرق بين المدينة والقرية، ثم استخدمها الفيلسوف الألماني برنتانو[8] حينما كتب في هجاء صفة ازدراء الثقافة، وقد وصف مزدري الثقافة بأنهم العقليات التي تقدر قيمة الأشياء بمعيار فائدتها المادية المباشرة من دون وضع بعين الاعتبار الأشياء أو الوظائف التي تتضمن قيمتها الثقافة أو الفن، فمثل هذه الأشياء بالنسبة لمزدري الثقافة مجرد أشياء غير ذات قيمة (Arendt, 1977).

أما فلسفيًا، فيعد هذا التيار يعبر عن شخص ضيق الأفق ينتقد الفن والثقافة بل ويحدد قيمة الأشياء تبعًا لمنظوره المادي (Webster's New World Dictionary of the American Language, 1962).

استخدام المصطلح قديمًا:

تختلف المفاهيم قديمًا وحديثًا تبعًا للتطور الثقافي، بيد أن مصطلح "إزدراء الثقافة" لا يختلف استخدامه قديمًا عن المعنى اللفظي لكلمة Philistinism إلا أن المنظور الذي نفهم منه معنى الثقافة نفسه اختلف حديثًا، فقد اعتبرت الحضارة اليونانية المدينة هي الميدان السياسي الذي يشار فيه إلى محبة الحكمة والجمال كنوع من أنواع التميز بين التحضر والبربرية إلا أن الإفراط في حب الفن والجمال كان يعد نوعًا من الرذيلة البربرية بحسب للمنظور اليوناني. وبالتالي فإن دقة الفعل - وليس مجرد تقدير الأعمال الفنية - كانت فضيلة من فضائل الرجل المتحضر عند اليونان، فقد قال بركليس Pericles[9] ( ) : إننا نحب الجمال في حدود الحكمة السياسية، ونتفسلف من دون رذيلة التخنث البربرية"(Arendt, 1977). ومن هنا يمكننا أن نستنتج أن الفرق بين الرجل المتحضر والبربري عند اليونان كان فرقًا ثقافيًا يتحدد على أساس صلته بالاهتمام بالفن.

---

[7] شيشرون Cicero: (106 ق.م – 43 ق.م) فيلسوف روماني وقد كان من الفلاسفة الأكثر إنتاجًا فكريًا في العصور القديمة، كانت مؤلفاته تحتوي على خطابات وخطب وأشعار، وأطروحات فلسفية وبلاغية ومؤلفات في السياسة والقانون. شارك في النخبة الحاكمة في فترة عاصفة استمرت ربع قرن، ظهرت لديه شخصيات متعددة: شخصية البطل المدافع عن الحرية، وشخصية المثالي في اللباقة الخطابية، والفشل في الإدارة السياسية، والإنسان الضعيف. من مؤلفاته: "عن الالتزام" 44 ق.م، "في الجمهورية"، وترك الكثير من الخطب في القانون والسياسة.

[8] فرانز برنتانو Franz Brentano: (1838 - 1917) هو فيلسوف نمساوي متخصص في علم النفس، فهو أول من قدم مفهوم القصدية للفلسفة المعاصرة، وقد قدم إسهامات مهمة جداً للفلسفة وبخاصة فلسفة العقل، الأنطولوجيا، والميتافيزيقا والأخلاق. تأثر برنتانو بأرسطو والفلسفة السكولائية، ويعتبر برنتانو رائد الفينومينولوجيا، والفلسفة التحليلية، تتلمذ عليه الفيلسوف إدموند هسرل، وتأثر به مارتن هايدجر وجان بول سارتر وموريس ميرلوبونتي. من أهم أعماله: "علم النفس من منظور تجريبي" عام 1874، "علم النفس الوصفي" عام 1887، "علم التفس عند أرسطو" عام 1877، "أصل معرفة الصواب والخطأ" عام 1902. Cambridge University Press, Cp. Dale Jacquette: Introduction to Brentano's Philosophy, in: Cambridge Companions to Brentan, Edited by: Dale Jacquette, United Kindgom, 2004, p 2.

[9] بركليس Pericles: (سنة الميلاد بالتحديد غير معروفة ولكنها في عقد التسعينات 490 ق.م – 429 ق.م) عاش في القرن الخامس قبل الميلاد، هو سياسي يوناني وابن لأسرة ثرية، وفي حياته أصبحت أثينا حاضنة للتطورات الثقافية إلى أبعد الحدود، بدءاً من الأفكار العلمية والفلسفية، ومختلف الأشكال الفنية المبتكرة، إلى جانب فنون العمارة والمسرح. وكانت أثينا آنذاك ثاني أثرى المقاطعات وأقوى الجيوش الحربية، شارك بركليس في القرار السياسي إلى إنشاء ما يسمى بالإمبراطورية الأثينية، وقد اتبع الأثينيون نصيحة بريكليس الحازمة بعدم تقديم أي تنازلات إلى الإسبرطيين حتى لو كان هذا الموقف يعني الحرب، وقد استمرت هذه الحرب ثلاث وعشرون عاماً بعد وفاة بركليس. وتمثل هذه الرواية معيار تأثير بركليس في أثينا. وقد وشجع الفلاسفة على المجاهرة بارائهم مهما بدوا مثيرين للجدل والمناقشة، من امثال سقراط الذي لم تبدأ مشاكله الا بعد وفاة بركليس.

وقد اعتبر اليونان قديمًا الفنان الذي ينتج العمل الثقافي شخصًا بعيدًا كل البعد عن الثقافة نظرًا لانعزاله عن الميدان السياسي، بل ولم يجدوا حرج في الوقوع في التناقض بإعجابهم بأعمال الفنانين وازدرائهم لصانعي هذه الأعمال. فقد أطلق اليونانيون لفظ "إزدراء الثقافة" على العقلية التي لا تستطيع الحكم على الأشياء خارج وظيفتها وقد ألحق هذا اللفظ بصانعي الفن. وذلك لأن صناعة الفن بعيدة عن النشاط السياسي (Arendt, 1977). أي أن استخدام المصطلح في الحقبة اليونانية كان مفاده التقليل من شأن الفنان؛ فبرغم أنه يبدع الأعمال الفنية- التي أصبحت الآن التراث الثقافي- إلا أن هذه الأعمال ليست ذات طبيعة عملية في المجتمع، وتبعًا للمنظور اليوناني فإن هذا النشاط يمكن تقديره من باب التحضر ولكن الفضيلة آنذاك كانت في العمل السياسي.

استخدام المصطلح حديثًا:

تقول آرنت أن مصطلح Philistinism استخدم حديثًا للدلالة عن تيار تشكله طبقة الأثرياء الجدد التي ظهرت في أمريكا التي لا تريد من الثقافة سوى الشكل الاجتماعي، حيث عرف المجتمع الأوروبي أن المثقف الحقيقي هو من يقدر قيمة الثقافة لذاتها على اعتبار أن هذا التقدير معيار المنزلة الرفيعة، فمتى ينال الإنسان قسط من التعليم يمكّنه من تذوق الثقافة يُعد من طبقة النبلاء، أما هذه الطبقة -مزدري الثقافة- تتناول الثقافة رغبة في اللحاق بركب الصفوة من المثقفين من دون تقدير للنشاط الثقافي نفسه (Arendt, 1977).

وتوضح آرنت أن هذه الصورة النمطية لتناول الثقافة قد أثرت على سيكولوجية الإنسان المعاصر، فعانى الإنسان من "الوحشة" (Arendt, 1977) - والمراد بالوحشة[10] هنا ليس الوحدة ولا العزلة بل شعوره بالاغتراب عن ذاته - فبصرف النظر عن قدرة الإنسان الطبيعية على التكيف وانعدام المعايير لديه، وقدرته على الاستهلاك المصحوبة بعجزه عن الحكم أو التمييز؛ وفوق ذلك تمركزه حول ذاته، ويمكننا تأويل هذا الاغتراب عن الذات بأنه يرجع إلى ازدراء الثقافة في العصر المعاصر؛ حيث يضطر الإنسان المعاصر إلى تناول أعمال فنية أو ثقافية ليس لديه تذوق لها ومن هنا يأتي الشعور بالوحشة.

وبالتالي يتضح لنا المفارقة في استخدام هذا المصطلح حيث أصبح حديثًا المعنى على النقيض مع المراد بالمعنى قديمًا، فقديمًا كما ذكرت سلفًا كان الإفراط في تقدير الفن هو نوعًا ما رذيلة أما حديثًا فهو الرغبة في تناول الفن من دون تقدير حقيقي لجوهر العمل الفني، مما يبادر في الذهن التساؤل: إلى أي مدى تخدم الثقافة في التحضر ونمو المجتمع؟

إن النقطة الفارقة التي تؤثر في نفعية الثقافة هو استغلالها أو احتكارها من قبل تيار مزدري الثقافة المعاصر الذي في عمقه هو تيار لا يعبأ بالثقافة الحقيقية، ولكنه يسخّر الذوق العام لأغراضه الخاصة التي قد تحمل طابعًا سياسيًا أيديولوجيًا أو حتى للدلالة على الرقي الاجتماعي لهذه الطبقة أو البعد عن الواقع، روت آرنت مثالًا عن هذا التيار وهو: أثناء "المجاعة الأيرلندية"[11] ابتعد الفنانون -من مزدري الثقافة- عن استخدام لفظ البطاطس للهروب من الواقع غير السار، بل أستبدل الفنان كلمة "الجذور" بالبطاطس للدلالة على أكثر الخضروات استهلاكًا. وهذه القصة تعدها آرنت تعريف لمزدري الثقافة المتعلمين باختصار، بعبارة اخرى يقوم مزدري الثقافة بعمل إنتاج فني غير مرتبط بالواقع للتمرد، أو للهروب من فقدان القيمة الفنية لأعمالهم(Arendt, 1977).

أهمية الثقافة:

تشبّه آرنت المجتمع بالتمثيل الغذائي عند الإنسان، وتعد حاجة المجتمع للثقافة كالشهية التي لا تشبع وهذه الشهية تقتات على الفن. والمراد بهذا التشبيه هو الإعلاء من أهمية اختلاف الأنشطة المجتمعية التي تصب في قوة وجود المجتمع، بمعنى أن وجود أنشطة فنية وترفيهية متعددة تعبر عن وجود المجتمع نفسه. فترى آرنت أن رغبة المجتمع في الترفيه والثقافة لا تقل أهمية عن حاجة المجتمع للتعلم والعمل، واختلاف هذه الأنشطة يصب في صيرورة المجتمع. وتؤكد آرنت أن الترفيه إذا لم يؤت ثماره كان بزوغ نوع جديد من أنواع الترفيه يرضي جماهير المجتمع أمرًا حتميًا (Arendt, 1977). ومن هنا فإن التذوق الثقافي في المجتمع هو جزء لا يتجزأ من عملية التمثيل الغذائي هذه، إذن فما هي دوافع هذا التذوق؟

Cp. Martin, T. (2016). Introduction: A Biography of Pericles in the Context of the Ancient Sources, in Pericles: A Biography in Context, Cambridge University Press, Cambridge, pp. (1-4) doi:10.1017/CBO9781139022255.003

[10] الوحشة Alienation: تعبر عن الغربة، ولكن ليس بالمعنى المألوف الذي يشير إلى غربة الوطن، إن الاغتراب بالمفهوم الفلسفي أعمق من الأرض التي يعيش عليها الإنسان؛ فما تقصده أرنت هنا ليس الوطن -رغم معاناتها بصدد مفهوم الوطن الذي لفظها- إلا أنها تناولت اللفظ من منظور اجتماعي يشير إلى الشعور الذي يصيب الإنسان إذا لم يعبر عن الافكار التي يعتنقها بصدق، فهنا يحدث عدم اتساق بين ما يشعر به وما يعيشه بالفعل. وقد عبر عن مفهوم الاغتراب الفلسفي ماركس حيث قال: "إن الاغتراب هو فقدان الإنسان لذاته، والذي يمكننا أن نطلق عليه "لا هوية". وبعد اغتراب الإنسان المعاصر اغتراب مقنّع يتخلله من دون أن يشعر عن طريق مادية العالم وإفراغه من المحتوى الروحي، بل إن المادية نالت حتى من الترفيه كما أشارت أرنت -باللجوء إلى السنيما عوضاً عن قراءة الروايات- فالتحكم في توجهات البشر يصيبهم بالاغتراب مثلما ذكرت أرنت حيث قالت إن الاغتراب يفقد الذات شعورها بالوجود. وقد أصبحت ظاهرة الاغتراب في العصر المعاصر أقرب إلى المرض النفسي من مجرد العزلة. Cp. Arendt, H. (1996) Love and Saint Augustine, edited by: Joanna Vecchiarelli Scott & Judith Chelius Stark, The University of Chicago Press, Chicago, p 205.

Engels, M. (1976) The German Ideology, Progress Publishers, Moscow, p 298.

See Also Bellab, Robert N. (1991) Beyond Belief, University of Calefornia Press, California, p 46

[11] المجاعة الأيرلندية (Irish Potato Famine): (1845 – 1849) حدثت هذه المجاعة في أيرلندا حينما أصاب محصول البطاطس آفات أربع سنوات متتالية؛ حيث كانت المدن الأيرلندية تعتمد بشكل أساسي على البطاطس في التغذية، والاعتماد بشكل أساسي على محصول أو إثنين جعله عرضة للأمراض، وقد قدمت الحكومة البريطانية الحد الأدنى من المساعدات والقروض، وبالتالي كانت هذه المجاعة نقطة تحول في التاريخ الديموجرافي لسكان أيرلندا؛ حيث توفى حوالي مليون شخص بسبب الجوع، واضطر ما يقرب من مواطن إلى الهجرة.

Cp. Grada, Cormac (1979), The population of Ireland 1700-1900: a survey, in: Annales de démographie historique, Statistiques de peuplement et politique de population. p. 282.

والإجابة على هذا السؤال هو: العراك نحو حيازة المكانة الاجتماعية؛ ففي بداية الأمر كانت الثقافة وصناعة الفن مثلما ذكرت سلفًا في المجتمع اليوناني أقل منزلة من الميدان السياسي، بينما في القرن الثامن عشر كان تقدير الثقافة والفن صفة من صفات الطبقة الأرستقراطية، ومع نهاية عصر النبلاء استمرت هذه الصفة فيمن انتمى أسلافهم للطبقة الأرستقراطية. ولعل هذا الإرث التاريخي لفكرة تقدير الثقافة والفن هي ما دفعت "الأثرياء الجدد" -مثلما أطلقت عليهم آرنت هذا الإسم- إلى محاولات احتكار الثقافة من وراء هذا الدافع.

أزمة الثقافة:

أدت محاولات احتكار الثقافة لحيازة المكانة الاجتماعية إلى نتيجتين:

- **إدعاء الثقافة لطبقة الأثرياء الجدد**

وجدت طبقت الأثرياء الجدد نفسها في مكانة أدنى من الأرستقراطيين حتى بعد امتلاك الثروة والرفاهية، مما دفعها لأن تسعى للتعلم والثقافة ولكن ليس تقديرًا لموضوع الثقافة نفسه بل باعتبارها عملة لشراء المركز الرفيع في المجتمع، فلجأوا إلى قراءة أفلاطون وشيكسبير بيد أن ما يقدمه سواء أفلاطون أو شيكسبير أهم بكثير من مجرد القراءة السطحية (Arendt, 1977). وذلك ما يلمح بدوره إلى بداية أزمة في الثقافة وأزمة في التعليم وفقدان للمحتوى الحقيقي لكل منهما؛ حيث إن الفرق بين المفكرين ومزدري الثقافة في تناولهم للمحتوى التعليمي أو الثقافي هو في حقيقة الأمر فرق شاسع، فالمفكر يتناول العلم والثقافة لدعم معرفته وللتذوق الجمالي للفن، أما ما يريده مزدرو الثقافة من وراء العلم والثقافة، فهو تزييف صورته أمام المجتمع..

- **انهيار الثقافة**

كانت الثقافة والفن مجالات منبوذة من قبل المجتمع اليوناني على اعتبار أنها أشياء ليست ذات قيمة، أما حديثًا وبعد ظهور طبقة "الأثرياء الجدد" أو مدعي الثقافة المتعلمين الذين تعاملوا مع الثقافة على أنها "عملة " بها يمكن شراء وضع اجتماعي أفضل، حدث انهيار في قيمة الثقافة لسوء فهمها وتفسيرها؛ لأن اعتبار الثقافة سلعة اجتماعية أدى إلى استهلاكها وتهالكها شأنها شأن العملات القديمة (Arendt, 1977).

تتناول آرنت الإنسان كممثل للمجتمع من جهة، ومتلقي للثقافة من جهة أخرى مشيرة إلى أن قدرة الإنسان على التكيف، وطبيعته الانفعالية، والاستهلاكية بالتزامن مع افتقاره إلى معايير الحكم، وشعوره بالاغتراب في العالم، كل هذه الصفات تدفعه للبحث عما يشبهه في العالم ليحد من شعوره بالاغتراب. وهنا تشير آرنت إلى أن الحديث حول الثقافة مرتبط بشكل أساسي بالفن، بل هو نقطة انطلاق الثقافة لأن الأعمال الفنية هي موضوعات ثقافية قبل كل شيء، وبالرغم من هذا الترابط العميق تقول آرنت إن الفن والثقافة ليسا سواء، فالفن له بالغ الأثر على ثقافة المجتمع (Arendt, 1977). فالفن وسيلة ترفيه، أما الثقافة فهي نتيجة تناول هذه الوسيلة.

وقد أدى تدرج الطبقات في المجتمع إلى حدوث انفصال في مفهوم الثقافة، هذا الانفصال أرسى بدوره دعائم الفجوة بين "الثقافة الحقيقية" و"الثقافة الشعبية". فمن المتعارف عليه أن الثقافة الحقيقية يبدعها الفنانون بشكل فردي أي أن الفنان هو المنتج الأصلي للعمل الفني أو الثقافي، هذا العمل يعبر عن نفسه من خلال قيمته الثقافية، التي عن طريقها إما أن يتخلد ببقائه أو أن يتلاشى تبعًا لهذه القيمة. إذًا المعيار الحقيقي الذي يحدد قيمة الثقافة هو محض "البقاء".

أما الثقافة الشعبية، فهي ما تعبر عن ثقافة جماهير المجتمع، وتؤدي الطبقية دورًا حاسمًا في المحتوى الثقافي نفسه، من حيث إن المتذوق للثقافة هنا هو جماهير الشعب من مزدري الثقافة، وبالتالي فإن الحكم لن يتأسس على أساس ثقافي بل على أساس استهلاكي -فمزدرو الثقافة حتى ولو أضافوا طابعًا تعليميًا لسياق كلامهم فقد سبق إيضاح منظورهم للأشياء بتحديد قيمة الشيء حسب منفعته -وهنا بالتحديد بداية الأزمة الثقافية في شتى المجتمعات.

إن محاولات تدارك الفجوة التي بين الثقافة والثقافة الشعبية أثارت إضافة بعد ثقافي إلى الفن الهابط (Harold Rosenberg, 1994) مثلما أشار هارولد روزنبرج[12] Harold Rosenberg مما أدى إلى بزوغ حركة تمرد من الفنانين على المجتمع، ولذلك يمكننا ملاحظة تيار الحنين إلى الفن القديم التي تعتبر ردة فعل للفن الحديث (Arendt, 1977). في الحقيقة إن السبب الأساسي في كون روح الفن الثورية التي سادت القرن التاسع عشر والقرن العشرين موجهة بقوة ضد المجتمع أكثر من الثورة على الدول والحكومات هو المعضلة الاجتماعية ذات الوجهين؛ بؤس الشعب من جهة، واستغلاله من جهة أخرى.

وبالتالي تفسر آرنت التحكم في التذوق الثقافي للمجتمع من قبل الحكومات واستغلالها في المجال السياسي بأنه "عنف" ولكنه من دون اعتداء، ويستطيع الفيلسوف تقصيه لأنه شكل من أشكال الإكراه عن طريق الإقناع. يظهر هذا الإقناع عند أرسطو كنقيض للحوار، لأن "الحوار" يتضمن المعرفة، ومحاولة اكتشاف الحقيقة، وتوضيح الأدلة، والدور الحقيقي الذي يمكن أن تؤديهالفلسفة هنا هو التركيز على التفكير وسؤال ما وراء الفن.

---

[12] هارولد روزنبرج Harold Rosenberg: (1906 - 1978) كاتب وفيلسوف أمريكي، عرف بنقده للفن فقد تناول التدوين حول نقد الفن بمجلة The New yorker من عام 1962 إلى وفاته. التحق بتيار ضد الشيوعية، وعمل أثناء الحرب العالمية الثانية في مكتب الإذاعة المحلية لمعلومات الحرب. من أهم مؤلفاته: "التقليد للفن الجديد" نشر عام 1959 م وتم إعادة نشره عدة مرات، و "موضوع القلق" عام 1964 م، "الفن على الحافة" عام 1975 م.

Cp. Britannica, The Editors of Encyclopaedia. "Harold Rosenberg". Encyclopedia Britannica, 29 Jan. 2023, https://www.britannica.com/biography/Harold-Rosenberg Accessed 12 March 2023.

وترى آرنت أن الثقافة والسياسة تيارين مضادين، وفي الوقت نفسه يكملان معًا الدائرة التي يتشكل منها المجتمع. والخطر في حقيقة الأمر ليس في المحتوى السياسي أو الثقافي بل يكمن في الحكم والقرار لجمهور المجتمع (Arendt, 1977). هذا الحكم يتطلب وعي ومعرفة وخروج من تحت وطأة الاحتكار.

وبالتالي فإن التوجه الأمثل لحماية احتكار الثقافة هو تيار النقد الفني، فإذا كانت السيادة في الحكم الجماهيري على العمل الفني يحتكرها أيديولوجيات سياسية أو ثقافية مزيفة، فإن الفشل الحقيقي للفلسفة هو بقاء هذه السيادة في اتساق من دون نقد. فقد قال شيشرون: "إن ما يهمني في ارتباطي بالناس أو الأشياء هو ألا أُجبر، فأنا أرفض أن أُجبر حتى بالجمال أو بالحقيقة"(Arendt, 1977).

ويمكننا القول إن النقد مهما كان قويًا لن يؤثر بالتقويض في العمل الثقافي الحقيقي، فأفلاطون على سبيل المثال بالرغم من أي نقد وُجّه إلى إرثه الفكري إلا أن قراءة أعماله مازالت أفضل من قراءة ما كُتب عنه من نقد. وهنا تعود آرنت إلى الحضارة الرومانية، من حيث كون الرومان أول من أخذوا الثقافة بجدية، فتقول: "كان المثقف كما ينبغي أن يكون عند الرومان هو الشخص الذي يعرف كيف يختار سواء كان يختار شيئًا، أو صديقًا، أو حتى اعتناق أفكار"(Arendt, 1977).

إن الطبيعة الإنسانية واحدة، وبالتأكيد يستطيع الإنسان الملاحظة، والرعاية، والشعور بالإعجاب كنشاط فطري شأنه شأن كل إنسان، ومن هنا فإن بث الروح الناقدة وغرس التفكير كنشاط أساسي للحكم والاختيار يعتبر الخطوة الأولى في تجاوز أزمة الثقافة، والتغلب على النزاع القائم بين المثقفين ومزدري الثقافة، والحد من احتكار التذوق، فالتفكير هو المسعى الأساسي لكل من يريد أن يحكم بحرية.

الخاتمة:

مما سبق يمكننا استخلاص الإجابة على السؤال الأساسي للبحث وهو المؤثرات الأساسية في الأزمة المعاصرة في ميدان التعليم والثقافة.

في التعليم:

- عدم ممارسة الدور الأساسي للأمومة والأبوة في الرعاية وحفظ خصوصية الكيان الأسري.
- ضعف المستوى العلمي للمعلم.
- عدم جدية الطفل في التعلم.
- سوء استخدام السلطة لكل من الآباء أو المعلمين.

في الثقافة:

- إفراغ الثقافة من محتواها الحقيقي واستبدال الوجاهة الاجتماعية بالثقافة الحقيقية.
- احتكار الثقافة من قبل فئة مزدري الثقافة والسياسيين.
- الحكم البراجماتي لجماهير المجتمع على وسائل الترفيه مما أدى إلى إبدال الاستهلاك بالتذوق.
- استسهال وسائل الترفيه بترك قراءة الأدب والمسرح واللجوء إلى الفن الهابط الذي يقبل الاستهلاك السريع.

التوصيات:

- توجيه المعلم بشأن ضرورة عمل مناقشات حرة مع الطلاب، وسماع آرائهم، والسماح بالاطلاع الحر.
- تثقيف كلًا من المعلمين وأولياء الأمور بنشر الوعي بصدد أهمية التفكير الحر بالنسبة للنشء، ودوره في الإبداع، وعمل برامج تثقيفية عن طريق الإعلام لتوضيح ذلك.
- اقترح دورات مجانية في قصور الثقافة لعمل مناقشات جادة عن أهمية الخصوصة لاسترجاع الأمان في المجال الخاص وللنمو العقلي والنفسي السليم.
- تنمية التفكير الناقد وحرية التعبير عن الرأي كعلاج للكساد الفكري، فهما من أهم المحكات التي تعين في تطور الثقافة والفن وحماية العقول من احتكارها.
- بث روح البحث عن الفن والثقافة الحقيقة لا الترفيه السريع -كاستبدال السنيما بالمسرح وبقراءة الروايات والأعمال الأدبية الفنية- عن طريق إضافة هذا المحتوى في المقررات الدراسية.

المراجع:

Arendt, H. (1977). *Between Past and Future: Eight Exercises in Political Thought.* Penguin Books.

Arendt, H. (1998). *Human Condition*. University of Chicago Press.

Arendt, H. (1978). *The Life of The Mind.* Harcourt Inc.

Arendt, H. (1968). *Men in Dark Times*. Harcourt, Brace & World, Inc. New York.

Arendt, H. (1996). *Love and Saint Augustine,* edited by: Joanna Vecchiarelli Scott & Judith Chelius Stark, The University of Chicago Press, Chicago.

Bellab, R. N. (1991). *Beyond Belief*, University of Calefornia Press, California.

College Edition. (1962). Webster's New World Dictionary of the American Language, p. 1099.

Dobson, J. (2006). *Preparing for Adolescence How to Survive the Coming Years of Change.* Gospel Light, California.

Engels, M. (1976). *The German Ideology*, Progress Publishers, Moscow.

Farmosa, P. (2008). *The Problems with Evil. Contemporary Political Theory* 7 (4). Macmillan Inc.

Grada, C. (1979). *The population of Ireland 1700-1900: a survey*, in: Annales de démographie historique. Statistiques de peuplement et politique de population.

Gordon, M. (1999) *Hannah Arendt on Authority: Conservatism in Education Reconsidered*. Educational Theory 49 (2).

Hill, S. R. (2021). *Hannah Arendt*. TJ Books Ltd, Cornwall.

Jacquette, D. (2004). *Introduction to Brentano's Philosophy*, in: Cambridge Companions to Brentan. Edited by: Dale Jacquette, Cambridge University Press. United Kindgom.

Kant, I. (2007). *Lectures on pedagogy (1803).* In *Anthropology, History, and Education.* Cambridge University Press.

Levinson, N. (2001). *The Paradox of Natality: Teaching in The Midst of Belatedness.* In: Mordechai Gordon (ed.), *Hannah Arendt and Education: Renewing Our Common World*. Westview Press.

Martin, T. (2016). *Introduction: A Biography of Pericles in the Context of the Ancient Sources.* in Pericles: A Biography in Context. Cambridge University Press. Cambridge. https://doi.org/10.1017/CBO9781139022255.003

Rosenberg, H**.** (1994). *Pop Culture: Kitsch Criticism,* in: The Tradition of the New, Hachette Books, New York.

Sosnowska, P. (2019). *Hannah Arendt and Martin Heidegger "Philosophy, Modernity, and Education".* Lexington Books. New York**.**

Steel, C**.** (2013). *Introduction*. In: The Cambridge Companion to Cicero, Edited by: C. Steel, Cambridge University Press. Cambridge. https://doi.org/10.1017/CCO9781139048750.002

https://hac.bard.edu/about/hannaharendt/ Accessed 10 October 2022.

Britannica, The Editors of Encyclopaedia. "Harold Rosenberg". Encyclopedia Britannica, 29 Jan. 2023, https://www.britannica.com/biography/Harold-Rosenberg Accessed 12 March 2023.

Britannica, The Editors of Encyclopaedia. "Harold Rosenberg". Encyclopedia Britannica https://www.britannica.com/science/chaos-theory Accessed 12 March 2023.

https://en.wikipedia.org/wiki/James_Dobson Accessed 12 March 2023

https://www.drjamesdobson.org/ Accessed 12 March 2023